(تفسيرُ الشَّيخِ البرَّاك)

القارئ: أعوذُ باللهِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ: {قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (١٤٥) سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٤٦) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأعراف:١٤٤-١٤٧]

الشيخ: إلى هنا، نعم يا مُحَمَّد!

القارئ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله تعالى-:

فقال: {يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ} أَيِ: اخْتَرْتُكَ وَاجْتَبَيْتُكَ وَفَضَّلْتُكَ وَخَصَّصْتُكَ بِفَضَائِلَ عَظِيمَةٍ، وَمَنَاقِبَ جَلِيلَةٍ، {بِرِسَالَاتِي} الَّتِي لَا أَجْعَلُهَا، وَلَا أَخُصُّ بِهَا إِلَّا أَفْضَلَ الْخَلْقِ.

{وَبِكَلَامِي} إِيَّاكَ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ، وَهَذِهِ فَضِيلَةٌ اخْتُصَّ بِهَا مُوسَى الْكَلِيمُ، وَعُرِفَ بِهَا مِنْ بَيْنِ إِخْوَانِهِ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، {فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ} مِنَ النِّعَمِ، وَخُذْ مَا آتَيْتُكَ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ بِانْشِرَاحِ صَدْرٍ، وَتَلَقَّهُ بِالْقَبُولِ وَالِانْقِيَادِ، {وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} لِلَّهِ عَلَى مَا خَصَّكَ وَفَضَّلَكَ.

{وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ} يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْعِبَادُ مَوْعِظَةً تُرَغِّبُ النُّفُوسَ فِي أَفْعَالِ الْخَيْرِ، وَتُرَهِّبُهُمْ مِنْ أَفْعَالِ الشَّرِّ، {وَتَفْصِيلا لِكُلِّ شَيْءٍ} مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، وَالْعَقَائِدِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ {فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ} أَيْ: بِجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ عَلَى إِقَامَتِهَا، {وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا} وَهِيَ الْأَوَامِرُ الْوَاجِبَةُ وَالْمُسْتَحَبَّةُ، فَإِنَّهَا أَحْسَنُهَا، وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَوَامِرَ اللَّهِ -فِي كُلِّ شَرِيعَةٍ- كَامِلَةٌ عَادِلَةٌ حَسَنَةٌ.

{سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ} بَعْدَ مَا أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ، وَأَبْقَى دِيَارَهُمْ عِبْرَةً بَعْدَهُمْ، يَعْتَبِرُ بِهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُوَفَّقُونَ الْمُتَوَاضِعُونَ.

وَأَمَّا غَيْرُهُمْ، فَقَالَ عَنْهُمْ: {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ} أَيْ: عَنِ الِاعْتِبَارِ فِي الْآيَاتِ الْأُفُقِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ، وَالْفَهْمِ لِآيَاتِ الْكِتَابِ {الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} أَيْ: يَتَكَبَّرُونَ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ وَعَلَى الْحَقِّ، وَعَلَى

مَنْ جَاءَ بِهِ، فَمَنْ كَانَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، حَرَمَهُ اللَّهُ خَيْرًا كَثِيرًا وَخَذَلَهُ، وَلَمْ يَفْقَهْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ، بَلْ رُبَّمَا انْقَلَبَتْ عَلَيْهِ الْحَقَائِقُ، وَاسْتَحْسَنَ الْقَبِيحَ.

{وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا} لِإِعْرَاضِهِمْ وَاعْتِرَاضِهِمْ، وَمُحَادَّتِهِمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، {وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ} أَيِ: الْهُدَى وَالِاسْتِقَامَةِ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُوصِلُ إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى دَارِ كَرَامَتِهِ {لا يَتَّخِذُوهُ} أَيْ: لَا يَسْلُكُوهُ وَلَا يَرْغَبُوا فِيهِ {وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ} أَيِ: الْغَوَايَةِ الْمُوصِلَ لِصَاحِبِهِ إِلَى دَارِ الشَّقَاءِ {يَتَّخِذُوهُ سَبِيلا} وَالسَّبَبُ فِي انْحِرَافِهِمْ هَذَا الِانْحِرَافَ {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ} فَرَدُّهُمْ لِآيَاتِ اللَّهِ، وَغَفْلَتُهُمْ عَمَّا يُرَادُ بِهَا وَاحْتِقَارُهُمْ لَهَا هُوَ الَّذِي أَوْجَبَ لَهُمْ مِنْ سُلُوكِ طَرِيقِ الْغَيِّ، وَتَرْكِ طَرِيقِ الرُّشْدِ مَا أَوْجَبَ.

{وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} الْعَظِيمَةِ الدَّالَّةِ عَلَى صِحَّةِ مَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا، {وَلِقَاءِ الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ}؛ لِأَنَّهَا عَلَى غَيْرِ أَسَاسٍ، وَقَدْ فُقِدَ شَرْطُهَا وَهُوَ الْإِيمَانُ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَالتَّصْدِيقُ بِجَزَائِهِ {هَلْ يُجْزَوْنَ} فِي بُطْلَانِ أَعْمَالِهِمْ وَحُصُولِ ضِدِّ مَقْصُودِهِمْ {إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}..

الشيخ: {هَلْ يُجْزَوْنَ} كأنه "{هَلْ يُجْزَوْنَ} مع بطلانِهم"، اقرأها كذا مع بطلانِه، نعم.

القارئ: {هَلْ يُجْزَوْنَ} مَعَ بُطْلَانِ أَعْمَالِهِمْ وَحُصُولِ ضِدِّ مَقْصُودِهِمْ {إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}؛ فَإِنَّ أَعْمَالَ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، لَا يَرْجُو فِيهَا ثَوَابًا، وَلَيْسَ لَهَا غَايَةٌ تَنْتَهِي إِلَيْهِ، فَلِذَلِكَ اضْمَحَلَّتْ وَبَطَلَتْ.

{وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلا جَسَدًا}.

الشيخ: إلى آخر الآيات، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله.

{قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ} بعدما كلَّمَهُ اللهُ -سبحانه وتعالى- وطلب النظرَ إليه وأراهُ الآيةَ التي تدلُّ على أنه لا يطيقُ رؤيةَ اللهِ في هذه الدُّنيا، {قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} [الأعراف:١٤٣] تبتُ إليك من أنْ أطلبَ ما ليس لي ذلك، فإن قوله: {رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ} طلبٌ لِما لا يمكن في هذه الدنيا.

ثم الله -سبحانه وتعالى- امتنَّ عليه بما أكرمه به: {قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي} فالرسالةُ والنبوةُ أساسُها الاختيارُ والاصطفاءُ، كلُّ نعمةٍ دينيَّةٍ علميَّةٍ أو عمليَّة تُعطَى للعبد، فإنها تتضمَّنُ قَدْرًا من الاصطفاءِ، فالذي مَنَّ عليه اللهُ بالإسلام، هذا اصطفاءٌ حتى، قال -سبحانه-: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا} {اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ} [فاطر:٣٢] المسلم ولو كان عاصيًا له

حظٌّ من الاصطفاءِ، له حظٌّ؛ لأنَّ كونه مسلمٌ يؤمنُ بالله واليوم الآخر يؤمنُ برسولِ الله هذا اصطفاءٌ، لكِنْ أعلى أنواع الاصطفاء: اصطفاءُ الرسل، {إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي}.

ثم إنه –تعالى– يخصُّ مَن شاء مِن رسلِه بفضائلَ، كما اصطفى موسى بالتكليمِ، {اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي} هذا من نوعِ الاصطفاء العامّ للرسلِ، {وَبِكَلَامِي} فهذه تفضيلٌ واصطفاءٌ خاصٌّ، اختصَّ اللهُ به موسى، {وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} فالاصطفاءُ من الله يَستدعي من العبد شكرًا، فمَن أعطاهُ اللهُ علمًا، ومَن هداهُ إلى الإسلام عليه أن يشكرَ الله بالاستقامةِ على هذا الدِّين، بالعمل بالعلم، {إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ}.

ثم أخبر –سبحانه– أنه كتبَ له في الألواح التي كتبَ فيها التوراة، فإنه –تعالى– في هذا الموعدِ وفي هذا الموقفِ كتبَ له توراةً في الألواح، وكان هذا أعظمُ ما رَجَعَ به، أعظمُ ما رجع به هذا الكتابُ العظيمُ: التوراة، فإن التوراة هي أعظمُ كتابٍ بعد القرآن، ولهذا في آياتٍ كثيرةٍ يَقْرِنُ اللهُ بين القرآنِ والتوراةِ، لا إله إلا الله.

{وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ} قال الله: { فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ} فهكذا ينبغي للعبدِ أن يأخذَ أوامرَ الله بجِدٍّ واجتهادٍ وعزمٍ وإخلاصٍ لا يتقبَّلُها ويُقابلُها بالرّخاوة والفتورِ، لا، بقوةٍ، يؤدّي فرائضَ الله بقوةٍ ونيةٍ واحتسابٍ، كثيرٌ من الناس –بل أكثرُهم– إذا عملوا بشيءٍ من شرائع الإسلام يأخذها بفتورٍ، ولا الصدقة يتصدَّق، يعني الصادقُ المخلِصُ يُؤَدّيها بسخاوةٍ، بسخاوةِ نفسٍ وانشراحٍ واحتسابٍ، والآخرُ يُؤَدّيها مِن غيرِ طِيْبِ نفسٍ، هكذا في كل الطَّاعاتِ ينبغي للمسلمِ يُفَكِّرُ ما حالُهُ عند أداءِ الفرائض، {فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ} دارُ الفاسقين قيل إنها: أرضُ مصرَ التي كانت دارًا لفرعونَ وقومِه، وقيل: إنها النار، نعوذُ بالله من النار، {سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (١٤٥) سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} فالمتكبّرون على الرسلِ وأَتْبَاعِهِم، هؤلاء يُعاقَبون، يُعاقَبون بِزَيْغِ قلوبِهم وفسادِ نظرِهم حتى يروا الحقَّ باطلًا، والباطلَ حقًّا.